

أما ماتزيني القائد القومي الإيطالي فيؤكد (« أن لكل أمة السيادة » Signoria) على نفسها وعلى كل أرضها . ويتيح لها هذا الحق أن تقيم وتنظم وتختار لنفسها الحكومة الملائمة لحاجاتها ، كما يتيح لها هذا الحق الحرية في أن تتحول « من أمة إلى دولة » (١٤) .

وعاشت أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تصارع في اتجاهين : السيادة الشعبية من جهة والدولة القومية من جهة أخرى . ولقد توحدت رومانيا وإيطاليا والمانيا ما بين ١٨٥٩ و ١٨٧١ . كما قوضت الحركات القومية ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الإمبراطوريتين « الألهيتين » : إمبراطورية آل هابسبورغ وسلطنة بني عثمان . وأخذت الصراعات الطبقيّة والتحررية تزداد اتساعا وعنفًا في هذه المرحلة .

ألا أن أوروبا ، التي شهدت كل هذه الصراعات القومية والتحررية ، كانت تتحول بعد وحدة أقطارها القومية ونهضتها العلمية والاقتصادية إلى أداة غزو واستعمار . أوروبا الإمبراطورية تعود إلى المسرح العالمي في زي جديد ، ويقوى جديدة .

وهكذا نجد أن الثورة القومية البرجوازية طرحت مبادئ السيادة الشعبية والحقوق القومية ، ولكنها بالمقابل أوجدت سيطرة البرجوازية المستغلة في الداخل ، وسيطرتها على المستعمرات في الخارج . لقد طرحت أفكارا « مثالية » ، ناضلت من أجلها الجماهير الشعبية ، وقدم العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة تضحيات كبيرة من أجلها . ولكنها أقامت دولا تدوس هذه الأفكار « المثالية » .

ولكن هذه الأفكار ظلت تتفاعل في أوساط الجماهير ، ويناضل من أجلها المفكرون ، ويتغنّى بها الشعراء . وكانت هذه الأفكار تنتقل إلى المستعمرات حيث تتفاعل مع جماهير مسحوقّة تتطلع إلى مستقبل جديد زاهر ، فتقوم الانتفاضات والثورات .

٢ - الحقوق القومية في الماركسية - اللينينية

سنحاول هنا أن نلخص المفاهيم الأساسية للماركسية - اللينينية في هذه القضية . وسوف لا نخوض في التطبيق السوفياتي لحق تقرير المصير ، وإن كنا سنعرض لمسألة حق تقرير المصير ، كما برزت في السياسة الخارجية السوفياتية .

وهناك ثلاث مراحل يجب التعرض لها :

الأولى : مرحلة ماركس وإنجلز (١٨٤٨ - ١٨٩٨) :

لقد أيد ماركس وإنجلز حق الشعوب المضطهدة في إقامة حكوماتها المستقلة . وكان تأييدها وإخفا وقويا لحقوق الشعبين الإيطالي والأيرلندي . كما أيد ماركس وإنجلز الحقوق القومية لشعوب المستعمرات . وكان ماركس يرى « أن تحرر أيرلندا ليس ، بالنسبة للبروليتاريا ، مسألة عدالة مجردة أو عاطفة إنسانية ، ولكنه الشرط الأول لتحرر البروليتاريا الاجتماعي » .

وأخضع ماركس وإنجلز قضية الانفصال لـ : « ... المصالح الشاملة للنضال من أجل الديمقراطية ، وانتصار الثورة البروليتارية » ولذلك عارضوا حركات « الشعوب الرجعية » مثل التشيك والسلاف الجنوبيين لأن القيصرية كانت تستفيد من هذه الحركات لخدمة أغراضها .

ولم تحذ القيادات الانتهازية في الأممية الثانية حذو المعلمين الكبارين ، بل ألفت على قضية تقرير المصير غشاوات النسيان . وقد اعتبر لينين أن قرار حق تقرير المصير الذي اتخذته مؤتمر الأممية الثانية في لندن غير مناسب : لأنه لا يؤكد على الجوهر السياسي لمطلب حق تقرير المصير أو مضمونه الطبقي ، وتبعيته لنضال البروليتاريا الثوري المباشر